

الممارسات غير الديمقراطية أو كسب مغنم هو في رأيه عرض ضئيل وزائل مهما بدا كبيراً ويراغاً .
لقد كان إحصان عبد القدوس يدرك أن لكل موقف ثمنه وقد ارتضى دفع هذا الثمن عن طيب خاطر . خلافاً لكتاب آخرين .

وكان على إحصان حين فرض عليه التعميم الاعلامي أن يستمض بالفن الروائي لينفس خلاله عن طاقته ويث وراء السطور آراءه في السياسة والحكم والظواهر الاجتماعية السائدة والقضايا المتنازع عليها ولاسيما قضية تحرير المرأة محترماً نفسه صادقاً معها ومع الآخرين غير مزدوج الشخصية مثل زمرة المثقفين المتلونين .

وقد يجنح إحصان عبد القدوس إلى الميلودراما في وصفه لإبطاله وأحوالهم على الرغم من أن الأدب الحقيقي تنظيم للعواطف وسيطرة عليها لوضعها في حجمها الصحيح وسر أغوارها دون الاكتفاء برصد سطحها والوعي بالعلاقة الجدلية بين شخصيات الرواية وبينهم وبين العالم الذي يعيشون فيه كما يشوب كثيراً من أعمال إحصان عبد القدوس واكتفاؤه في الأغلب الأعم بالتركيز على المرأة الغانية اللعوب أو المرأة المراهقة سناً أو نضجاً كنموذج للبطلات اللاتي يؤثر معالجه حياتهن .

ولكن الإنصاف يقتضينا القول بأن معالجة الجنس ليست من (التابو) المحظور في الأدب وإن بطلات إحصان يشكلن شريحة اجتماعية تؤثر وتتأثر بالمجتمع وقد كان الكاتب الإبطالي الشهير (مورافيا) الذي رحل أخيراً أستاذاً في هذا الفن ولكن العبرة بأسلوب المعالجة أي تناول الجنس لا لذاته وإنما لدلالته الاجتماعية والتاريخية .

وحسب إحصان عبد القدوس أنه كان كاتباً صحفياً ملتزماً بالتعبير عن الحقيقة وعن الصواب في رأيه وأنه كان إلى جنب هذا مبدعاً موهوباً أيًا كان الرأي في تقييم هذا الإبداع .



ولذلك كانت الشائسة الكبيرة والصغيرة صالحين جداً لنقل أعماله الدرامية دون مجهود كبير مما وسع دائرة انتشاره اعلامياً انتشاراً كبيراً . لقد حصرنا إحصان عبد القدوس ككاتب قصة وقلم سياسي متميز ونفس نبيلة اثرت الأنطواء وفضلته على (الأضواء) .

أما الدكتور والشاعر حسن فتح الباب فيقول ..

(أول ما يرد على خاطري حينما يذكر اسم إحصان عبد القدوس كتاباته السياسية قبل أعماله الروائية ، لدلالة تلك الكتابات على أنه صحفي وأديب له موقف ثابت من القضايا السياسية والاجتماعية التي كانت مثارة في المرحلة التي تصدى فيها بقلمه للتعبير عن رأيه . وهنا تتجلى قيمة إحصان ككاتب ملتزم بالدفاع عن الوطن والشعب وعن الحرية والديمقراطية وسائر حقوق المواطن التي تندرج في منظومة حقوق الإنسان وهي أسس ما بلغت مسيرة التطور البشري منذ أقدم العصور حتى عالم اليوم . فمن العبث فصل فن الكتابة أيًا كان تصنيفها عن المجتمع مثلما يستحيل الفصل بين الفرد والجماعة والبنية والشجرة .. والرجل موقف وقد يكون هذا الموقف متقدماً بمعنى أنه يسهم في تعميق وإثراء القيم الإنسانية ، كما قد يكون متخلفاً يصب في التيار المناوئ لحركة التاريخ التي تسير إلى الأمام في محصلتها النهائية مهما صادف النهر في طريقه من صخور وأعشاب .

إن جيلنا الذي ترعرع في الأربعينات وتبلورت رؤيته في الخمسينات لا يمكن أن ينسى الموقف الوطني الجسور والصلب الذي أمل على إحصان عبد القدوس مقالاته النارية عن الأسلحة الفاسدة والدور الحيائي الذي لعبته السراي الملكية والحاشية الفاسدة في الأبحار بها حين كان العرب يتطلعون إلى قوة مصر العسكرية لانقاذ فلسطين ضحية الاستعمار والصهيونية العالمية ، ولا يمكن أيضاً أن يغفل التاريخ الموقف البطولي الآخر لإحصان حينما اختلف مع ثورة ١٩٢٣ يوليو في بعض سياساتها ولم يخضع للوعيد أو تلعب بلبه الوعود وهو المقرب إلى الثورة والذي كان أحد الممهدين لها بمقالاته المشار إليها فأدان بقلمه الحر الذي لا يتسمى إلا إلى أرضه وبلده الإبحار إلى الدكتاتورية . وظل قابضاً على الجمر مؤثراً نطاق العزلة التي فرضت عليه على بيع قلمه لقاء الصمت عن

أعجبه موضوع لأى شخص كان يؤجل نشر عمله وينشر الأعمال الجيدة وتعتبر روز اليوسف (المجلة) من أحب الأشياء إلى نفسه وحتى آخر لحظة في حياته كان يسأل عنها وعن أبنائها الذين لازموه إلى آخر لحظة في حياته . ومن أبرز صفاته أيضاً التدخين وشرب القهوة بشراهة وذلك طوال فترة الكتابة كما كان يحب عصير الليمون .

● ويعتبر إحسان عبد القدوس صاحب مدرسة متميزة في الصحافة المصرية وكانت هي المناسبة لمدرسة أخبار اليوم صاحبة الصحافة الحديثة في العالم العربي والتميز بالخير وذلك كما يقول الصحفى الكبير (فاروق عبد السلام) ونائب رئيس تحرير مجلة الأذاعة والتلفزيون .. ويضيف ..

(كان إحسان عبد القدوس صاحب الخبر الأول في مدرسته وخرج من عباته كبار كتاب مصر أمثال أحمد بهاء الدين ، صلاح جاهين في فن الكاركاتير ، أحمد عبد المعطى حجازى في الشعر ، يوسف إدريس في القصة . ولا ننسى عمالقة مصر الذين عملوا معه في هذه الفترة وهم العقاد وطه حسين وتوفيق الحكيم وأيضاً صاحب جائزة نوبل نجيب محفوظ الذى بدأ حياته في روز اليوسف كاتباً أدبياً وأنهى به المطاف إلى نوبل .

وإحسان عبد القدوس هو صاحب الفضل الأول على هذا الجيل فكان أول من شرع بقلمه ليغوص في عمق أعماق البنت المصرية فقام إحسان عبد القدوس بقيادة أول ثورة أدبية محترقاً النصف الثانى في حياتنا وهى المرأة وتحمل هجوم كل الأقلام المتزمتة ولكنه بنى بالطوب الذى كان يلقي عليه مرماً شامخاً من الأدب الصريح الذى يكشف عمق العلاقات الاجتماعية بين الرجل والمرأة وعندما تحولت أعماله الأدبية إلى أفلام سينمائية كانت المفاجئة بأنها حققت أكبر الإيرادات

وكانت مدرسة إحسان التى قادها (مدرسة روز اليوسف) تمثل المعارضة في مجتمع بلا أحزاب وكانت هى المدرسة النقطة الساخرة وضد النظام سواء في العهد الملكى عندما كتب عن الأسلحة الفاسدة أو في ظل الثورة عندما طلب مجلس قيادة الثورة أن يعود لشككات الجيش فاعتقل وخرج من السجن ليدين أعماق الشعب المصرى من خلال قصصه الأدبية النسائية

● أما الصحفية مديحة عزت نائب رئيس تحرير روز اليوسف فتقول :

(يعتبر إحسان عبد القدوس أستاذى ومعلمى الأول في الصحافة وغيرها . فلقد تعلمت على يديه كل فنون الحياة من أدب وعلم لأنى بدأت العمل كصحفية مبتدئة في روز اليوسف وأنا في سن صغير جداً . تعلمت منه كيف أكتب وكيف أقرأ وماذا أكتب وماذا أقرأ ؟ علمنى كيف أحب وأعيش وكيف أسعد وأسعد الناس الذين يعيشون معى ألا أحقد على أحد أو أنتقم من أحد لأنه كان كذلك فلم يحدث أن حقد على أحد أو انتقم من أحد رغم أنه كان محاصراً بدائرة من الحقد والغيرة . وإحسان ليس أستاذى في الصحافة فقط ولكنه أستاذى في الحياة ومهما حاولت تقييمه فلن أتمكن من منحه حقه بل لا أجرؤ على تقييمه لأننى مؤمنة بأن عمل الإنسان هو الوسيلة المثل لتقييمه .

وكان إحسان عبد القدوس يتصف بصفات تتعارض مع كونه كاتب كبير . فمثلاً كان متواضعاً رغم أستاذه ووصل تواضعه إلى أنه كان يسألنى أحياناً وأنا التلميذة عن رأى فى بعض أعماله كما كان يسمح لكتاب وموظفين من روز اليوسف أن يتناولوا أعماله بالنقد على صفحات روز اليوسف (فعندما كتب (لا أنام) فى روز اليوسف انتقده محمود العالم الذى كان موظفاً بروز اليوسف فى ذلك الوقت وانتقده على صفحات المجلة وقال (هذا العنوان خطأ لأنه من المفروض أن يكون (أنا لا أنام) وكان رد إحسان . . أنا مقتنع بها من الناحية القصصية هكذا كما كتبها ونشرت القصة فى المجلة ونقد محمود أمين العالم فى نفس العدد من المجلة المنشور بها القصة واعترض البعض على هذا النقد وهاجموه ولكن إحسان عبد القدوس قال .. لا يضايقنى هذا الهجوم لأنه يعنى الحرية والديمقراطية .

وكان رحمه الله إذا هاجمه أحد لا يرد وكان من أبرز صفاته أيضاً الكرم الزائد فكان معظم الكتاب والفنانين يقترضون منه ولا يبخل على أحد . وكان بمثابة الأب لعائلة الكتاب والصحفيين فى مجلته كما كان لا يتعالى على أحد . يأكل مع زملائه وتلاميذه ويركب معهم العربة وكان بسيطاً فى تصرفاته إلى أقصى درجات البساطة يؤثر أحياناً على نفسه فإذا ما